القضية المستحيلة

ثمة مقامات عندما تتحرك ، يكون لهذا التحرك وقع معنوي كبير. قيمة التحرك ان الموقع يملي عليه رزانة خاصة بعيدة عن الحرتقات الضيقة للسياسة الداخلية من تعيين مدير عام الى الحصول على التزام الى غير ذلك من اشكال المكاسب المعروفة .

المقام الاول الذي تتجه اليه الانظار عندما تعجز السياسة وتظهر الحاجة الى لحظة اخلاقية هي الملاذ الاخير في مواجهة مشكلة ما .. هذا المقام هو المقام الديني والشخص المعني هو المرجع الديني من اصحاب الغبطة الى اصحاب السماحة .

اما المشكلة فهي قضية المخطوفين .

لقد وصل الجدل الى النقطة المستحيلة . فما العمل ؟

كلمة السر الضمنية لدى المتابعين للموضوع ان « العين بصيرة واليد قصيرة » . المراجعات الهادئة والمسؤولة لم تصل الى نتيجة .. اسفرت فقط عن الاعتراف بـ ١١ محتجزا . الاثارات الخجولة على لسان قادة مسؤولين فوق صفحات الصحف هي ايضا ووجهت باجوبة قاطعة: ليس هناك مخطوفون .

اذن كيف تطالب بمخطوف لم يخطف ؟ ثمة مطالبة تنطلق من فرضية غير مسلم بها . وهنا بالذات المنطقة المستحيلة التي بلغتها القضية ، المنطقة التي تصبح السياسة فيها عاجزة .. الجميع يرسم على الشفاه تلك الاشارة التي تصلح للحظات الدرامية في الروايات ذات النهايات المسدودة الافق حيث الابطال عجزة والضحايا .. بلا معنى !!

في هذه اللحظات .. لا حول ولا قوة الا بالله . ومن يعبر عن هذه الكثافة الاخلاقية للعجز غير المقام الديني والمقامات الدينية ؟

* * *

شيء قبل السياسة . شيء بعدها ولكنه ليس السياسة هو هذا الموضوع الذي اسمه : المخطوفون .

مئات من الاشخاص يضج بوقع قضيتهم ضمير البلد ، وفي آن تبدو هذه القضية محكومة بان تكون « هامشية » .

مئات الاشخاص ، ربما طوي ملفهم الى الابد ولم يحصلوا حتى على الاعتراف بانهم خطفوا .

ما اعمق الاحساس بالدولة في هكذا لحظة . وكم يصبح قمع الدولة مشتهى ومطلوبا حيث ثمة اعتراف بالشخص وثمة مؤسسات تراجع ..

وثمة رموز تتكلم بينما في القضية التي نحن بصددها ـ حيث اجهزة ـ غير رسمية ـ خارج الدولة ـ ثمة مخطوفون لم يخطفوا !

لعل نقطة الضعف الاساسية في هذه القضية انه بالامكان ضمها ـ وهذا هو الواقع شئنا ام ابينا ـ الى ملف السنوات الطوال من الحرب الاهلية التي عجت بهذا النوع من المخطوفين هنا وهناك . مع ان مأساة هؤلاء المخطوفين ان اللعبة الدموية مورست عليهم في لحظة بدت فيها الامور منتهية . فدفعوا ثمن حدسهم السياسي الخاطىء ..

وكانوا الوجبة التي تبنا نتمنى الآن ان تكون الاخيرة من نوعها . اذ ان المضحك ـ المبكي هو ان يواصل فريق اللعبة بعدما انسحب الفريق الآخر من الملعب .. مهزوما او باختياره لا فرق .

حرب اهلية من طرف واحد ! لم نعد نريد !! والوجبة الاخيرة من المخطوفين هي تلك التي اعيدت الى الساحة رغما عنها .

* * *

المقامات الدينية هل تدلي بدلوها في الموضوع ؟ .. بعدما لم تعد القضية « زمنية » وانتقلت الى محكمة الله .. هنا حيث تقسيم العمل الاصلي ينهي دور السياسيين ويبدأ دور الروحانيين . خصوصا ان اولويات السياسيين تجعلهم يغلبون مصير الوطن على مصائر الافراد . في مرحلة مطلوب فيها انقاذ لبنان .. لا اللبنانيين !

اية قضية اكثر يأسا من هذه القضية الساطعة والمستحيلة . حيث نقطة الضعف انها صفحة من ملف طويل . مع الفارق ان البشاعات في السابق كانت متكافئة .. اما اليوم فلم تعد كذلك . وهذا ما يعيز مأساة الوجبة الاخيرة .

جهاد الزين